الوثيقة الجديدة لحركة حماس

البراغماتية، وحدود التغير السياسي

مركز الروابط
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية
Rawabet Center
for Research and Strategic Studies

د. سليم محمد الزعنون

ابريل 2017

الفهرس

مقدمة 3

أولاً: حدود التغير في الرؤية 4

1. من الأممية إلى الوطنية
2. منظمة التحرير
3. مفهوم الدولة الوطنية
4. العلاقات الدولية
5. مفهوم الجهاد

ثانياً: حدود التغير في الأهداف 6

1. إسرائيل
2. الاتفاقيات الدولية ومبادرات السلام
3. نبذ العنف

ثالثاً: البراغماتية السياسية 8

1. المستوى الإقليمي
2. المستوى الدولي

الخاتمة

المراجع

مركز الروابط للبحوث و الدراسات الاستراتيجية
Rawabet Center for Research and Strategic Studies

مقدمة:

طرحت حركة حماس في الأول من مايو 2017 "وثيقة المبادئ والسياسات العامة" للحركة كبديل مُنقح لميثاقها التي تم الإعلان عنه في اغسطس 1988، وترى بعض قيادات الحركة أن الميثاق السابق لايخرج عن كونه خطاب ديني دعوى، وليس ميثاقاً سياسياً بالمنعى الكامل وتم اعتماده في فترة زمنية معينة من تاريخ التنظيم، وتستخدمه إسرائيل لمحاربة الحركة على المستوى الدولي[1]، وتُشكل هذه الرؤية إضافة إلى الظروف الداخلية والإقليمية والدولية المُتغيرة حالة من الضغط المستمر على الحركة وتدفعها باتجاه إيجاد حلول للخروج من الأزمة الراهنة، بعيداً عن النظرة الأممية والدينية التي طغت على ميثاقها السابق، وبما يمكنها من المناورة السياسية وإعادة التوازن إلى علاقاتها الداخلية والإقليمية والدولية، في هذا السياق عُقدت عدة اجتماعات في "الدوحة" بمشاركة العديد من قيادات الحركة من بينهم خالد مشعل رئيس المكتب السياسي، ونائبه موسى أبو مرزوق، واسماعيل هنية رئيس وزراء حكومة حماس في غزة، لتنتهي المشاورات بإصدار "وثيقة المبادئ والسياسات العامة"[2]، وتتضمن رؤية تتباين نسبياً مع الميثاق، بما يدفع لدراسة حدود التغير في الرؤية الجديدة، وكذلك حدود التغير في الأهداف، في دراسة مقارنة بين الوثيقة الجديدة والميثاق السابق، وكذلك درجة البراغماتية السياسية في ضوء المعطيات الإقليمية والدولية، ومدى استجابة المجتمع الدولي للتغيير في رؤية الحركة.

أولاً: حدود التغير في الرؤية

تنطلق حركة حماس في صياغة وثيقتها الجديدة من أسس "فقه الضرورة" القائم على وجود حالة اضطرار واحتياج شديد يؤدي عدم مراعاتها إلى الضرر، وإهدار المصالح التي هي أعظم مقاصد الشرع، فإن لم يتم تناول الممنوع فقد هَلك[3]، وفي إطار هذه الرؤية صرح خالد مشعل أن الحركة تمارس دورها السياسي وفق ضرورات الواقع بشرط عدم تعارضها مع المبادئ[4]، وفقاً لهذا المنظور يمكن تفسير التغيرات التي طرأت في وثيقة المبادئ والسياسات العامة.

تتضمن الوثيقة تغيراً في بعض المواقف والسياسات، وتؤشر المقارنة بين والوثيقة والميثاق إلى حدود التغيير في رؤية الحركة تجاه خمس قضايا رئيسية: رؤية الحركة تجاه دورها العالمي كجزء من التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، ومنظمة التحرير، ومفهوم الدولة الوطنية، والعلاقات الدولية، ومفهوم الجهاد.

1. من الأممية إلى الوطنية.

في الوقت الذي تراجع فيه تنظيم الإخوان المسلمين باعتباره التنظيم الأم للحركة، وفي ظل ما يعانية من حالة التشرذم والتفتت بفعل الصراعات الداخلية، وانحسار دوره وملاحقته على المستوى الإقليمي والدولي، بحيث أصبح يُشكل عبئاً على فروع التنظيم في الدول المختلفة، أظهرت وثيقة المبادئ والسياسات العامة للحركة فك ارتباطها بالتنظيم الدولي للإخوان المسلمين مؤكدةً على أنها هي حركة تحرر ومقاومة وطنية فلسطينية[5]، ويُمثل ذلك نقلة نوعية في إعادة تعريف الحركة لذاتها، بحيث عرفت نفسها في الميثاق بوصفها حركة فوق وطنية عابرة للحدوة القومية باعتبارها أحد أجنحة حركة الإخوان المسلمين كتنظيم عالمي في العصر الحديث[6]،

2. منظمة التحرير.

وفي إطار سعي حركة حماس للانضمام لمنظمة التحرير كمدخل لاكتساب الشرعية الإقليمية والدولية، أقرت وثيقة المبادئ والسياسات العامة أن المنظمة إطار شرعي وطني للشعب الفلسطيني ويجب المحافظة عليها، والعمل على تطويرها واعادة بنائها، والمشاركة فيها[7]، ويمثل ذلك معكوس رؤيتها في ميثاقها السابق القائمة على أن منظمة التحرير تبنت فكرة الدولة العلمانية، وهي مناقضة للفكرة الدينية ومن فرط في دينه فقد خسر[8].

مركز الروابط للبحوث و الدراسات الاستراتيجية
Rawabet Center for Research and Strategic Studies

3. مفهوم الدولة الوطنية.

وبينما غاب عن الميثاق السابق مفهوم الدولة الوطنية، حيث يعرف الحركة بأنها حركة عالمية، بعدها المكاني في أية بقعة يوجد بها المسلمين، والعمل على نصرة المستضعفين في أي مكان تصل إليه الحركة[9]، فإن الوثيقة جاءت لتعطي تعريف لمفهوم الدولة الوطنية، من خلال تحديد البعد المكاني للحركة في أرض فلسطين التاريخية، وإقامة دولة مستقلة ذات سيادة وعاصمتها القدس على حدود 1967، مع عدم تخليها عن حدود فلسطين التاريخية[10]، ويُشكل ذلك انعكاس لانتقال الحركة من الأممية إلى الوطنية واعادة تعريف ذاتها ودورها.

4. العلاقات الدولية.

لم يتطرق الميثاق إلى العلاقات الخارجية للحركة إلا من زاوية أحادية الجانب قائمة على أن الدول في الغرب والشرق متواطئة مع الإحتلال الإسرائيلي وداعمه له، وتتبادل الأدوار فيما بينها، وترى الحركة بأن المبادرات والمؤتمرات السلمية تتعارض مع عقيدتها، ومن غير الممكن أن تحقق المطالب الفلسطينية، أو تعيد الحقوق، وتصفها بالمؤامرات الدولية[11].

بيدَّ أن التغيير في رؤية حركة حماس للعلاقات الدولية بدأ مبكراً وقبل اصدار وثيقة المبادئ والسياسات العامة، إذ أشار مسئول العلاقات الدولية في الحركة إلى ضرورة البحث عن نقاط التقاء مع القوى الدولية وتعزيزها، مهما كانت درجة الإختلاف معها في المواقف والمواضيع، وحتى لوكانت هذه القوى داعمة لإسرائيل[12]، وجاءت الوثيقة لتتبنى رؤية مخالفة للميثاق من حيث تأكيدها على التعاون والانفتاح على جميع الدول، والسعي إلى بناء علاقات متوازنة، وترحب بمواقف الدول والمنظمات الدولية الداعمة للشعب الفلسطيني[13].

5. مفهوم الجهاد.

ينطلق الميثاق من رؤية دينية ودعوية بحته، وسيطرة عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وتكررت فيه كلمة الجهاد (14) مرة، وقد غابت هذه المفاهيم تماماً عن الوثيقة الجديدة، واستبدلت كلمة الجهاد بكلمة المقاومة بحيث تكررت (7) مرات، وبينما كان الميثاق يؤكد على أن الجهاد فرض عين، ويمثل الوسيلة الوحيدة للتحرير دون سواه، وأكد على أن الصراع ديني مع اليهود ولن ينتهي إلا بقتالهم والقضاء عليهم[14]، تؤشر الوثيقة الجديدة إلى استبعاد البعد الديني من الصراع، مؤكدة على أن الصراع ليس مع اليهود كديانة وإنما مع الحركة الصهيونية المحتلة للأراضي الفلسطينية، إضافة إلى أنها تؤشر الى تعدد وسائل المقاومة، فلم تَعد مقتصرة على الجهاد فقط،

حيث تدعو لمقاومة الإحتلال بكافة الوسائل والأساليب، وأن المقاومة المسلحة واحدة منها[15]، ويؤشر ذلك إلى رؤية مختلفة، والتخلي عن الخطاب الديني في الصراع، وامكانية تبني أساليب أخرى للمقاومة كالمقاومة السلمية، والأساليب غير العنيفة إلى جانب المقاومة المسلحة.

ثانياً: حدود التغير في الأهداف

تؤشر الوثيقة الجديدة إلى تخفيفاً في لهجة الخطاب السياسي، وتُظهر "حماس" بمظهر الفاعل الأكثر براغماتية، من خلال تسويق نفسها كحركة إسلامية وطنية بدلاً من كونها فرعاً لجماعة الإخوان المسلمين، ويأتي ذلك في إطار سعيها لانهاء سنوات من العزلة الدولية والإقليمية، بيدَّ أن هذا التغير لم يلامس التغير في الأهداف الرئيسية للحركة، وتُظهر المقارنة بين الوثيقة والميثاق حالة من الاتساق والثبات النسبي في ثلاثة أهداف رئيسية، الاعتراف بإسرائيل، الاعتراف بالمؤتمرات الدولية، ونبذ العنف.

1. الإعتراف بإسرائيل.

لا تحمل الوثيقة تغييرات جذرية فيما يتعلق بالاعتراف بإسرائيل، وجاءت بنود الوثيقة متسقة نسبياً مع الميثاق، غير أن الوثيقة وبخلاف الميثاق تنطوي على حالة من التناقض فيما يتعلق بالاعتراف بإسرائيل، فعلى الرغم من تأكيدها الصريح على عدم الاعتراف بشرعيتها، وعدم تنازل الحركة عن أي جزء من فلسطين التاريخية من البحر إلى النهر، إلا أن قبولها بقيام دولة فلسطينية على حدود الرابع من جزيران 1967[16] يشكل اعتراف (ضمنياً) وليس (صريحاً) بوجودها.

2. المؤتمرات الدولية، ومبادرات السلام.

جاءت الوثيقة متسقة نسبياً مع الميثاق فيما يتعلق بالموقف من المؤتمرات الدولية ومبادرات السلام، فبينما كان الميثاق يؤكد على الرفض التام للمبادرات الدولية والحلول السلمية بوصفها تتعارض مع عقيدة الحركة، وتهدف لتحكيم أهل الكفر بأرض المسلمين[17]، جاءت الوثيقة لتتخلى عن البعد العقدي والديني، ولكنها أكدت على رفض جميع الاتفاقيات والمبادرات ومشاريع التسوية الرامية لتصفية القضية الفلسطينية، وتأكيدها على رفض اتفاقيات السلام وما ترتب عليها[18].

3. نبذ العنف.

أظهرت الوثيقة لهجة أقل حدة فيما يتعلق باستخدام العنف، ولكنها متوافقة نسبياً مع الميثاق، فبينما ركز الميثاق على هزيمة إسرائيل بوصفها واحدة من الغزوات الصليبية، من خلال الجهاد (القوة

مركز الروابط للبحوث و الدراسات الاستراتيجية
Rawabet Center for Research and Strategic Studies

المسلحة)[19]، اسقطت الوثيقة الدعوة المباشرة لهزيمة إسرائيل لكنها اشارت في ذات الوقت إلى سعيها لتحرير أراضي كل فلسطين التي تستحوذ عليها إسرائيل[20]، وفي الوقت الذي غاب فيه مفهوم الجهاد عن الوثيقة، تم استبداله بمفهوم المقاومة، والحاق المفهوم بمصطلح الوسائل والأساليب كافة، على اعتبار أن العمل المسلح واحداً من الأساليب إلى جانب وسائل أخرى[21].

نظراً لذلك فإن وثيقة المبادئ والسياسات العامة لم تحقق الحد الأدنى من شروط الرباعية الدولية التي أقرها المجتمع الدولي بما فيه الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، القائمة على: نبذ العنف، والإعتراف بحق إسرائيل ، وقبول الإتفاقيات الدولية، كشرط للدعم الاقتصادي والاتصال الدبلوماسي مع الحركة[22]، وتدرك حماس من خلال اتصالتها المستمرة مع دول أوروبية أنها لن تحظى باعتراف دولي دون أن تبدي حسن نية حول شروط اللجنة الرباعية الدولية حول عملية السلام، الاعتراف بإسرائيل، والاعتراف باتفاقيات أوسلو[23]، أثراً لذلك ليس من المتوقع أن تُحدث الوثيقة الجديدة اختراقاً حقيقياً في العلاقة مع المجتمع الدولي.

ثالثاً: البراغماتية السياسية

تؤشر الوثيقة الجديدة على البراغماتية السياسية للحركة، ودرجة من المرونة السياسية، في محاولة لاحداث اختراق في علاقاتها الإقليمية والدولية.

1. على المستوى الإقليمي.

من خلال تأكيد الوثيقة الجديدة على رفض الحركة التدخل في الشئون الداخلية للدول، ورفضها الدخول في الصراعات والنزاعات فيما بينها، تحاول الموازنة في علاقتها مع السعودية من جانب وإيران من جانب آخر، فالجناح العسكري للحركة مرتبط بالحرس الثوري الإيراني مادياً، وأما الجناح السياسي فهو مرتبط بدول الخليج، وهي غير قادرة على التخلي عن أي منهما، لذلك تؤكد على حياديتها والتركيز على همومها الوطنية.

كما أن الإشارة الضمنية للانفصال عن التنظيم الدولي الإخوان، يعتبر رسالة مباشرة للقاهرة، ويأتي كخطوة أولى في اطار التقرب منها، ومحالة تحسين العلاقة معها، لفتح نافذة للحركة في قطاع غزة على العالم.

مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية
Rawabet Center for Research and Strategic Studies

2. على المستوى الدولي.

كما أن توقيت إعلان الوثيقة الجديدة يرتبط بالمتغيرات الدولية، وتحدياً صعود ترامب لسدة الحكم وتبني إدارته رؤية تضع جميع حركات الإسلام السياسي في سلة واحدة، ولا تميز بينها وبين الحركات المتطرفة، ويرتبط بذلك اختيار التوقيت للإعلان عن الوثيقة بحيث جاء قبل يومين من سفر الرئيس الفلسطيني لواشنطن في محاولة منها لعرض نفسها كقوة لا يستهان بها على الساحة الدولية، وكتنظيم براجماتي.

الخاتمة.

يأتي طرح حركة حماس وثيقة "المبادئ والسياسات العامة" بالاستناد إلى "فقه الضرورة" الذي يسمح بقبول بعض القضايا وانتهاج بعض السياسات لدفع الضرر وتحقيقاً للمصالح، وفقاً لذلك تُشكل الوثيقة درجة من البراغماتية السياسية، التي تعمل لتوافق مصالح الحركة على المستوى الفلسطيني الداخلي، وتعطيها قدرٍ من المرونة في علاقاتها على المستوى الإقليمي والدولي، خاصة في ظل المتغيرات التي الإقليمية والدولية.

طرحت الوثيقة تغير في رؤية الحركة تجاه خمس قضايا رئيسية: رؤية الحركة تجاه دورها العالمي كجزء من التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، ومنظمة التحرير، ومفهوم الدولة الوطنية، والعلاقات الدولية، ومفهوم الجهاد، غير أن حدود التغير في أهداف الحركة جاء نسبياً ومتوافقاً مع الميثاق، في ثلاث قضايا: الاعتراف بإسرائيل، الاعتراف بالاتفاقيات الدولية ومبادرات السلام، ونبذ العنف، وإذا ما أخذنا شروط الرباعية الدولية بالاعتبار فإن الوثيقة لم تحقق الحد الأدنى منها، أثراً لذلك ليس من المتوقع أن تُحدث الوثيقة إختراقاً كبيراً في العلاقة مع المجتمع الدولي.

مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية
Rawabet Center for Research and Strategic Studies

المراجع

[1] ناصـــر الدين الشـــاعر، مقابلة تلفزيونية، تلفزيون جامعة النجاح الوطنية، 6 ابريل 2016. متوفر على: goo.gl/IEX27o

[2] Dov Lieber, Hamas said set to recognize Palestine on 1967 borders, but not Israel, Times of Israel, Jerusalem, March 8, 2017, available at: goo.gl/7BNjpu

[3] عبد الوهاب ابو سـليمان، فقه الضـرورة وتطبيقاته المعاصـرة، آفاق وابعاد، المعهد الإسـلامي للبحوث والتدريب، السعودية، 2003، ص 51.

[4] كلمة حالد مشـعل، رئيس المكتب السـياسـي لحركة حماس، في ندوة "التحولات في الحركات الإسـلامية، الدوحة، 24 سبتمبر 2016. متوفر علي: goo.gl/M9AXGN

[5] حركة المقاومة الإسلامية حماس، وثيقة المبادئ والسياسات العامة، الجزيرة، 1 مايو 2017، ص1.

[6] ميثاق حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، 18 اغسطس 1988، المادة الثانية، ص5.

[7] حركة المقاومة الإسلامية حماس، وثيقة المبادئ والسياسات العامة، مرجع سابق، ص5.

[8] ميثاق حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ، مرجع سابق، المادة السابعة والعشرون، ص 28-29.

[9] ميثاق حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ، مرجع سابق، المواد الخامسة، السابعة، العاشرة، ص 6، 7، 10.

[10] حركة المقاومة الإسلامية حماس، وثيقة المبادئ والسياسات العامة، مرجع سابق، ص4.

[11] ميثاق حركة المقاومة الإسـلامية "حماس"، مرجع سـابق، المواد الثالثة عشـر والثانية والعشـرون، ص 14-15، و23-24.

[12] اسـامة حمدان، العلاقات الدولية لحركة حماس، في محسـن صـالح (محرر) حركة المقاومة الإسـلامية حماس دراسات في الفكر والتجربة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2015، ص 535-554.

[13] حركة المقاومة الإسلامية حماس، وثيقة المبادئ والسياسات العامة، مرجع سابق، ص 5-6.

[14] ميثاق حركة المقاومة الإسـلامية "حماس"، مرجع سـابق، المواد الثانية عشـر، والخامسـة عشـر، ص 6-8، و14-17.

[15] حركة المقاومة الإسلامية حماس، وثيقة المبادئ والسياسات العامة، مرجع سابق، ص 3-4.

[16] حركة المقاومة الإسلامية حماس، وثيقة المبادئ والسياسات العامة، مرجع سابق، ص 4.

[17] ميثاق حركة المقاومة الإسلامية حماس، مرجع سابق، المادة الثالثة عشر، ص 14-15.

[18] حركة المقاومة الإسلامية حماس وثيقة المبادئ والسياسات العامة، مرجع سابق، ص4.

[19] ميثاق حركة المقاومة الإسمية حماس، مرجع سابق، المواد السابعة، والخامسة والثلاثون، ص 7 و36.

[20] The Associated Press, Hamas Unveils New Program with Softer Language, but Same Goals, May 01, 2017, available at: goo.gl/LM2dtM

[21] حركة المقاومة الإسلامية حماس وثيقة المبادئ والسياسات العامة، مرجع سابق، ص4.

[22] Nona Mikhelidze and Nathalie Tocci, How Can Europe Engage with Islamist Movements? in: Michael Emerson, Kristina Kausch and Richard Youngs (eds.), Islamist Radicalisation the Challenge for Euro-Mediterranean Relations, Jun 3, 2009, p.156,

[23] الحانان ميلر، حماس تتجه إلى المركز، المصدر، 19 ماس 2017، متوفر على: goo.gl/cMtMSV

مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية
Rawabet Center for Research and Strategic Studies